

الأخلاق في القرآن فروع المسائل الأخلاقية

[238] لكم، (...) وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْ وَأَعْلَيْهِ فَلَا يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ(1). وعلى هذا الأساس فإنَّ يعقوب أوصى أولاده بوصايا خاصة لمقابلة الحوادث المتوقعة، ولكنه أكد عليهم أنَّه بهذه التوصية لا يستطيع أن يقف مقابل الحوادث أو يضع تدبيراً حاسماً لجميع المشكلات والمصاعب التي سيواجهونها في سفرهم هذا، بل إنَّ عليه أن يضع ما يمكنه من الحلول والتوصيات، وأمَّا الباقي فيجب أن يتوكلوا على الله تعالى. وبهذا فإنَّ يعقوب في الحقيقة قد أوصاهم بالتوكل على الله، وقد ذكر الدليل والسبب في تأكيده على هذا المعنى، وهو أنَّ جميع الأمور بيد الله تعالى : "إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ". إذن فينبغي على الإنسان أن يعيش التوكل والاعتماد على هذه القدرة المطلقة والتي لا توجد أية قدرة أخرى في مقابلها في عالم الوجود. ومن الواضح أنَّ المراد بكلمة (الحكم) هنا هو (الحكم التكويني) الله تعالى في عالم الخلقة والتي تعود جميع الأسباب لديه وليست ناطقة إلى الحكم التشريعي. (فتأمل). -- وتتعرض "الآية السادسة" إلى ما جرى بين موسى (عليه السلام) وقومه بني إسرائيل، وذلك عندما أظهر موسى دعوته الإلهية وأبرز معجزاته العظيمة ولكن مع ذلك لم يؤمن به جميع بني إسرائيل بل آمن به واتبعه جماعة منهم، في حين أنَّ بني إسرائيل كانوا مستضعفين بأجمعهم من قبل الفراعنة وكانوا يعيشون الخوف وشدَّة العذاب من قبل فرعون وقومه، فعندما نرى أنَّ زوجة فرعون وبسبب إعلانها الإيمان بموسى (عليه السلام) قد وضعت تحت طائلة العذاب الشديد من قبل زوجها فرعون، فمن الواضح ما كان تعامل فرعون مع سائر بني إسرائيل، ولهذا السبب فإنَّ موسى بن عمران ولغرض إيجاد حالة من الطمأنينة والهدوء النفسي في قومه وإزالة عنصر الخوف والرعب المسلط عليهم أمرهم بالتوكل على الله، (وَقَالَ مُوسَى 1. سورة يوسف، الآية 67).